إذا جاءوته سيقول الذين أشركوا لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما عليه من الشرك بالله وتحريم
ما لم يحرمه الله قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا من قبل ولا حرمنا من شيء من البحاير والسوايب
وغيرها أرادوا أن يجعلوا قولهم لو شاء الله ما أشركنا حجة لهم على إقامتهم على الشرك وقالوا إن الله قادر
على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا أنه رضي ما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به لحال بيننا
وبين ذلك فقال الله تعالى تكذيبا لهم كذلك كذب الذين من قبلهم من كفار الأمم الخالية حتى ذاقوا بأسنا
عذابنا واستدل أهل القدر بهذه الآية أنهم يقولون لما قالوا لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله ورد
فقال كذلك كذب الذين من قبلهم قلنا التكذيب ليس في قوله لو شاء الله ما أشركنا بعد ذلك القول صدق
ولكن في قولهم إن الله أمرنا بها ورضي بما نحن عليه كما أخبر عنهم في سورة الأعراف فإذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها فالرد عليهم في هذا كما قال تعالى قل إن الله لا يأمر بالفحشاء والدليل
على أن التكذيب ورد فيما قلناه في قولهم لو شاء الله ما أشركنا خبرا من الله عز وجل عن كذبهم في قولهم لو
شاء الله ما أشركنا لقال كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب وقال
الحسين بن الفضل لو ذكروا هذه المقالة تعظيما وإجلالا لله تعالى ومعرفة منهم لما عابهم بذلك لأن الله تعالى
قال ولو شاء ربك ما أشركوا وقال وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله والمؤمنون يقولون ذلك ولكنهم
قالوه تكذيبا وتخرصا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون نظيره قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
قال الله تعالى ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون وقيل في معنى الآية إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة
إلا أنهم كانوا يعدونه عذرا لأنفسهم ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان والرد عليهم في هذا لأن
أمر الله تعالى بمعزل عن مشيئته وإرادته فإنه يريد جميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد وعلى العبد أن
يتبع أمره وليس أن يتعلق بمشيئته فإن مشيئته لا تكون عذرا لأحد قوله عز وجل قل هل عندكم من علم أي
كتاب وحجة من الله فتخرجوه لنا حتى تظهر ما تدعون على الله من الشرك أو تحريم ما حرمتم إن تتبعون ما تتبعون
فيما أنتم عليه إلا الظن من غير علم ويقين إن أنتم إلا تخرصون تكذبون قل فلله الحجة البالغة التامة على خلقه
بالكتاب والرسول والبيان فلو شاء لهداكم أجمعين فهذا يدل على أنه لم يشأ إيمان الكافر ولو شاء لهداه قل
هلم أي تعالى للواحد والاثنين والجميع هلم شهداءكم الذين يشهدون أي ائتوا بشهدائكم الذين يشهدون أن الله حرم
هذا فهذا راجع إلى ما تقدم من تحريمهم الأشياء على أنفسهم ودعواهم أن الله أمرهم به فإن شهدوا وهم كاذبين
فلا تشهد أنت معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون أي
يشركون قوله عز وجل قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وذلك أنهم سألوا وقالوا أي شيء الذي
حرم الله تعالى فقال تعالى قل تعالوا أتل أقرأ ما حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا ظنا وكذبا كما تزعمون فإن قيل ما معنى
قوله حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك قيل موضع أن رفع معناه هو ألا تشركوا
وقيل محله نصب واختلفوا في وجه انتصابه قيل معناه حرم عليكم أن تشركوا ولا صلة كقوله تعالى ما منعك
أن لا تسجد أي ما منعك أن تسجد وقيل تم الكلام عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم أن لا تشركوا به شيئا على
الإغراء قال الزجاج يجوز أن يكون على معنى أوصيكم أن لا تشركوا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق
فقر نحن نرزقكم وإياهم أي لا تئدوا بناتكم خشية العيلة فإني رازقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش

ما ظهر

ما ظهر منها يعني العلانية وما بطن يعني السر وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا
يرون به بأسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في العلانية والسر وقال الضحاك ما ظهر الخمر وما بطن الزنا ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق حرم الله قتل المؤمن والمعاهد إلا بالحق أي إلا بما يبيح قتله من ردة
أو قصاص أو زنا يوجب الرجم أخبرنا أحمد بن عبد الله الصفي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري نا حاجب
بن أحمد الطوسي نا محمد بن حماد نا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب
الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ذلكم الذي ذكرت وصاكم أمركم به لعلكم تعقلون
ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن يعني بما فيه صلاحه وتثميره قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك
هو أن يبتغي له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئا حتى يبلغ أشده قال الشعبي ومالك الأشد الحلم حتى يكتب له الحسنات
ويكتب عليه السيئات قال أبو العالية حتى يعقل ويجتمع قوته وقال الكلبي الأشد ما بين ثماني عشرة سنة إلى
ثلاثين سنة وقيل إلى أربعين سنة وقيل إلى ستين سنة قال الضحاك عشرون سنة وقال السدي ثلاثون
سنة وقال مجاهد الأشد ثلاثة وثلاثون سنة والأشد جمع شد مثل قد وأقد فهو استحكام قوة شبابه
وسنه ومنه شد النهار وهو ارتفاعه وقيل بلوغ الأشد أن يؤنس رشده بعد البلوغ وتقدير الآية ولا
تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده فيدفع إليه ماله إن كان رشيدا وأوفوا الكيل
والميزان بالقسط بالعدل لا نكلف نفسا إلا وسعها أي طاقتها في إيفاء الكيل والميزان لم نكلف المعطي أكثر
مما وجب عليه ولم نكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد بما يسعه
مما لا حرج عليه فيه وإذا قلتم فاعدلوا فاصدقوا في الحكم والشهادة ولو كان ذا قربى ولو كان المحكوم والمشهود
عليه ذا قرابة وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون وقرأ حمزة والكسائي وحفص تذكرون
خفيفة الذال كل القرآن والآخرون بتشديدها قال ابن عباس هذه الآيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شيء
وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وأن هذا صراطي
ديني مستقيما مستويا قويما فاتبعوه قرأ حمزة والكسائي وإن بكسر الألف على الاستئناف وقرأ الآخرون بفتح
الألف قال الفراء يعني وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما وقرأ ابن عامر ويعقوب بسكون النون ولا تتبعوا
السبل أي الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل وقيل الأهواء والبدع
فتفرق فتميل بكم وتشتت عن سبيله عن طريقه ودينه الذي ارتضى وبه أوصى ذلكم الذي ذكرت وصاكم به
لعلكم تتقون أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد البزاز المعروف بأبي بكر بن أبي الهيثم أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين
الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد نا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي نا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد
بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله
ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه وقرأ وأن هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه الآية قوله عز وجل ثم آتينا موسى الكتاب فإن قيل لم قال ثم آتينا موسى الكتاب وحرف
ثم للتعقيب وإيتاء موسى الكتاب كان قبل مجيء القرآن قيل معناه ثم أخبركم أنا آتينا موسى الكتاب فدخلت ثم لتأخير
الخبر لا لتأخير النزول تماما على الذي أحسن اختلفوا فيه قيل تماما على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى

١٩٧

Copyright @ King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)